صداقة النساء

كتاب خلاقي ابتدائي عربناه من الانكليزية لنشره تباعاً في المنار

« عينا المرأة مجهران ترى بهما اصغر الهفوات فتحسبها كافية لقطع الصداقة وفسخ الوداد ولذا نرى عدداً عظيماً من النساء ينتقدن الرجال اشد الانتقاد

فاني اسكويرز ومتيلدة بركيس الصديقتان المشهورتان بعظم محبتهما قد ذاقتا في الحياة مرّ الحسد والمقاطعة بسبب قولا نيكلي وبعد مشاجرة قصيرة بكتا ثم تشاكتا وتعاتبتا وختمتا العتاب بعناق طويل ودموع سخينة وباقساء حارّة على دوام الصداقة المتينة

قال واصاب في قوله فولتر سفيع « انه لا توجد صداقة قلبية حقيقية مستمرة كصداقة فتاة لفتاة ولا عداوة شديدة او بغضاء عظيمة كعداوة وبغضاء امرأة لامرأة

فقليلة هي الامثلة الدالة على اتحاد القلوب بين النساء اتحاداً عظيماً وحد بين النفوس وقلتها ناتجة عن جهلنا بوجودها لان من طبع المرأة ان تكتم اسرار قلبها . واعظم الناس تهذيباً هم من يكتمون ما يخالج فؤادهم وما تكنه ضمائرهم وطباع النساء تكره التصريح عما في قلوبهن وحياتهن عميقة وشفافة فلا يمكن لغير روح اللطف والمحبة والشفقة ان تتوصل اليها والنفوس القاسية الخشنة لا تستطلع اسرارهن . فهل يبقى القوم بعد هذه البراهين مصرّين على ان النساء لسن اهلا للصداقة وان صداقتهن قليلة ونادرة وسطحية ؟

المرأة اقرب الى الوداد من الرجل وللحب والولاء تأثير عليها اكثر مما على الرجل وليس تعرضها للسقوط في خطإ كسر الصداقة وقطع الولاء الا لانها تهتم

باشياء طفيفة زهيدة لقلة ما تنال من التهذيب والتدريب على اتباع الحق والرغبة في الوصول الى الامور المفيدة الثمينة

علاقة المرأة مع بنات جنسها ضعيفة جداً وغير واضحة للجميع وذلك لانها تقضي حياتها بمعزل عن الناس فيجهلون امرها وحياتها وايضاً لانه لا يعلو لها اسم ولا تأخذ منزلة مهمة في عالم التاريخ والعلم غير اننا نخطئ اذا اعتقدنا ان المرأة لا تستطيع ان تمكن عرى صداقة قوية مع بنات جنسها لان ترقبها لهن بالمرصاد وسهرها على اعمالهن وحب الاطلاع على ما يصدر منهن دليل واضح على انها تبتغي صداقتهن او عدمها

ادلة على صداقة المرأة

احياناً تسأل المرأة الغنية صديقة لها ان تعيش معها في بيتها فتتفقان وتعيشان معاً حياة الراحة والهناء ولسنا نرى مثل ذلك بين الرجال

اختان غير متزوجتين تعيشان سوية كل ايام حياتهما في بيت واحد عيشة السلام والهدوء وينذر ذلك بين الشبان الغير متزوجين

توجد عادة حميدة عند النساء الشريفات وهي انهن يسألن بعض النساء ان يسكن معهن ويمنحهن بيوتاً وكسوة وطعاماً وكلما يلزم لهن والغاية من ذلك هي لكي يجدن صديقات ويتعودن معهن على اساليب الصداقة واللطافة والبشاشة والكرم وهذه العادة غير معروفة عند الرجال

وكثير من النساء اشتهرن بسخائهن الغريب فمتى اعطين يشبعن ويملأن الايدي الفارغة ويسددن الحاجات وهذه الصبية نادرة بين الرجال

والمرأة اما تكون في احسن الصفوف او في ادناها ولا يمكن ان تكون في غير احدى هاتين المرتبتين فمتى فسدت المرأة الشريفة سقطت من الطبقة العليا

الى الطبقة السفلى ومتى صلحت المرأة الدنيئة اصبحت شريفة في الطبقة العليا ومتى فسد الاعلى اصبح الادنى ومتى صلح الادنى اصبح الاعلى

من هو ذلك الشخص المركب من شيطان وحيوان مفترس الذي له جسم يلتهب كالنار وقلب قاسي كالحجر وجبين كالنحاس لا يندى خجلاً ولا حياء ولا يمدّ يده الا لقبض الفلوس فقط ؟ هو امرأة باعت عفتها وشرفها في شوارع الفسق والخلاعة والشر

من هو ذلك الشخص المملوء حباً ولطفاً الذي وجهه يتدفق بشاشة وتبدأ بين مقلتيه نحو السماء وقلب طافح سعادة وخيراً ؟ هو امرأة طاهرة سلت في الخفاء قلبها لابيها السماوي

فالمرأة اذاً لا تعرف غير هاتين المنزلتين وكما انه لا نظير لغضب وانتقام وتأثير المرأة كذلك لا مثيل لمحبتها ولطفها وحلاوة طبعها وشرف نفسها وعفتها

وقارئ هذه الاقوال المتقدمة والمتسعن بها لا بد له ان يقول — ان المرأة في اللطف والحب والشفقة وتضحية الذات وابداء اشرف العواطف تفوق الرجل صداقة ووداداً

الصداقة بين الاقارب وغيرهم

في البحث عن صداقة النساء يجب ان نضعهن في المراتب الطبيعية التي وجدن فيها فيتضح لنا اذ ذاك وداد هن ومواخاتهن باكثر جلاء ولنبدأ اولاً بامثلة وشواهد تدل على الصداقة الكائنة ضمن حدود العلاقة الجموية ونرى صداقة كل من الجنسين للآخر

صداقة الاقرباء هي عرضة للضعف والانحلال ومما ذلك الا لفعل العادة وتأثير المعاشرة الطويلة فتري افراد العائلات يعيشون مخالطة من هم خارج حدود القرابة

والعلاقة الدموية فيحنون لمعاشرتهم والاقتراب منهم ولحسن طالع الجنس البشري اكثر الاسر مخالف لهذه القاعدة فان العلاقة الطبيعيـة واعتماد كل من افراد البيت الواحد على الآخر والواجبات التي على الفرد ان يفعلها لغيره من افراد البيت كل هذه الامور تزيد في صداقة ومحبة العائلات لبعضهم وتولد مجـار كهربائية تثير عواطف وعلاقات وثيقة العرى

امثلة وشواهد

١ لنا مثال على ذلك صداقة استير العبرانية لعمها مردخاي وهي صداقة شهيرة لا لزوم لاطالة الشرح عنها ٢ كتب بيرانجاي على ضريح هذه الكلمات المؤثرة

« عليك ينوح اولادُ كنار ايا من لم تصيري بعد أمّا »

ومن الامور الداعية للغرابة ان رُبط العلاقات العائلية لنفي انحلال وضعف حال كون رُبط المحبة والشفقة الداعية لموآخاة الكل على السواء لنفي ازدياد ووثوق — في الاعصر القديمة لما كانت الاقوام همجية وفي حال الخطر من هجوم الاعداء والوحوش كانت العائلة اساس الهيئة الاجتماعية وكل افراد البيت الواحد تكاتفوا ووقفوا لجسم واحد تجاه كل عدو خارجي وهجوم اجنبي انما لمـا ترقت الهيئة وسنّت الشرائع والقوانين وانتخب قضاة وحكام واستتب الترتيب بين البشر انحلّت ربط القرابة الجسدية وتقوّت ربط الصداقة والموآخاة العمومية وتلاشت المعارك الدموية والبغضاء الكامنة فيما بين افراد العائلات والقبائل وهذا الانحلال والتراخي الحادثان في ربط العلاقات الجسدية امران لا يدعيان للحزن والاسف بل هما دليلا التقدم والارتقاء لان ربطاً غيرها تقابلها قد قامت مقامها واخذت تسمو وتتأصل في قلوب بني البشر وهذا ما اشار اليه السيد المسيح بقوله « من يفعل ارادة ابي الذي في السموات هو اخي واختي وامي »